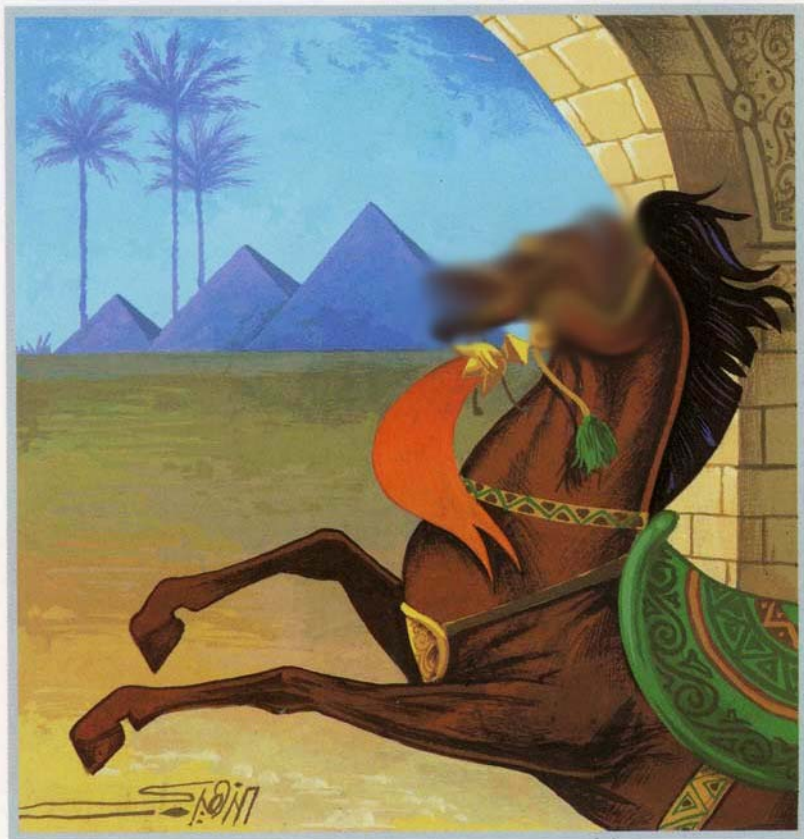


فتح مصر

د / جمال عبد الهادي



دار التوزيع والنشر الإسلامية

٨ ميدان السيدة زينب - ت: ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥



نحو وعى سياسى
وتاريخى واستراتيجى

الفتوحات الإسلامية

فى عهد

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

فتح مصر

(20 هـ / 641 م)

إعداد

أ.د. جمال عبد الهادى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى (سابقاً)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله تعالى :

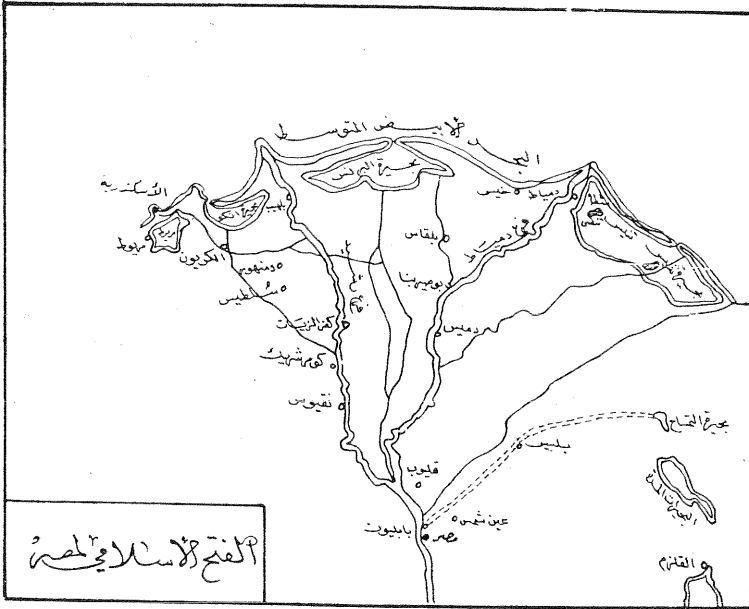
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ
بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا
انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥٦) (البقرة - 256)

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«ستفتحون مصر ، وهي أرض يُسمى فيها القيراط
فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمّةً ورحمًا»

(رواه مسلم)

وفى رواية : «فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لهم صِهراً
وذمّةً» (الطبراني)



خريطة توضح سير الفتح الإسلامي لمصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة عمرو بن العاص

تقديم

مرور أربعة عشر قرناً على الفتح الإسلامي لمصر

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين . . . وبعد،

فإن من حق البشرية اليوم أن تحصل على صورة صحيحة لتاريخ البشر على الأرض، ومن الإجرام في حقها تزوير ذلك التاريخ، وإعطاءها معلومات مضللة وخاصة في مجال العقائد ومن الأمانة العلمية، أن يمتنع العلماء، وخاصة الذين يرسمون للناس صورة القرون الخوالي عن تقديم كتابات يعلمون أنها غير صحيحة، كما أنه من واجب القادرون إزالة أخطاء التاريخ وإزالة آثارها وتصحيحها التصحيح الواجب،

لأنه ليس من مصلحة الإنسانية أن ترى الحياة كلها من زاوية واحدة، لا تكشف عن كل جوانبها، وأن تسودها فكرة خاطئة عن ماضيها وحاضرها وأن تجهل الدوافع الكاملة لسيورها وتحركها، والقيم الأساسية لحياتها وحاضرها، لأن هذا الجهل لينشئ أخطاءً عميقة الأثر، لا فى التصور والتفكير ولكن فى علاقات الأمم بعضها ببعض، وفى علاقات الكتل الدولية بعضها ببعض، كما ينشئ أخطاء بعيدة المدى فى تكييف سياسة كل أمة وتوجهاتها، هذه الأخطاء ينشأ معظمها عن سوء دراسة التاريخ البشرى، وسوء تقدير الدور الذى قام به الإسلام والذى يمثله العالم الإسلامى، هذا العالم يمثل وحدة إنسانية شاملة لها كل خصائصها المستقلة ويمثل قوة إنسانية ثابتة لا يؤثر ضعفها الطازى إلا تأثيراً عارضاً فى وزنها الحقيقى وسوف يكون لهذا التصحيح قيمة فى حساب المصلحة الإنسانية العامة.

فكم لأخطاء التاريخ من أثر فى إقامة الحواجز بين بعض الأمم وبعض العناصر وبعض الكتل، وكم لها من أثر فى

سوء تقدير الجماعات للجماعات والأجناس للأجناس والأفراد للأفراد ، والعقيدة والمبادئ والحضارات وكل هذا يؤذى البشرية في حاضرها ويؤذيها في مستقبلها .

ومن أجل هذا كانت هذه الرسالة ، وهى عبارة عن قراءة فيما يكتبه أساتذة التاريخ فيما يتصل بالفتح الإسلامى لمصر ، نُذَكَّر من خلالها بالحقائق التالية :

أولاً : شعب مصر ينتسب فى الأصل إلى المسلمين من ذرية الناجين من الطوفان مع نوح عليه السلام .

ثانياً : شعب مصر يدين بالإسلام منذ أن وطأت أقدامه أرض وادى النيل فى وقت لا يعلمه إلا الله رب العالمين ، وقبل ميلاد إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بقرون طويلة .

- وحينما حدث الإنحراف فى عقائد الناس تعهد الله شعب مصر برسولين يدعوان إلى الإسلام هما يوسف وموسى عليهما السلام . وعلى يد يوسف عليه السلام أسلم شعب مصر وملك مصر وأخضعوا حياتهم لمنهاج الإسلام وشريعته .

يقول رب العالمين على لسان يوسف الرسول المسلم عليه السلام ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (يوسف : 101) .

وعلى يد موسى عليه السلام أسلمت امرأة فرعون آسية بنت مزاحم وسحرة فرعون وغيرهم . يقول رب العالمين على لسان موسى عليه السلام لقومه : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (٨٤) ﴿ (يونس - 84) . وقد أهلك الله فرعون من أجل هذه القلة المسلمة ومكن للإسلام وأهله . يقول رب العالمين : ﴿ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١٣٦) ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرُشُونَ ﴾ (١٣٧) ﴿ (الأعراف : 136 ، 137) .

إذن الإسلام على أرض مصر أصيل أصالة شعبها وأرضها⁽¹⁾.

وبعد ثلاثة عشر قرناً من الزمان من رسالة موسى بعث عيسى عليه السلام برسالة الإسلام : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) ﴾ (آل عمران - 52) .

ثالثاً : وبعد رسالة عيسى عليه السلام بستة قرون بعث محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام الخاتمة إلى العالمين ، تحقيقاً لبشارة الله على لسان عيسى عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ عَيْسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ السُّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ (الصف : 6) .

وبعدها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسائل إلى الكثير من الزعماء والأمراء في عصره يدعوهم إلى الإسلام ،

(1) تاريخ الأمة المسلمة الواحدة منذ أقدم العصور في مصر والعراق د. وفاء محمد رفعت - د. جمال عبد الهادي - دار الوفاء للطباعة والنشر .

ومن هؤلاء جريج بن متى⁽¹⁾ الملقب بالمقوقس ملك مصر والاسكندرية :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط (أى المصريين) سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجره مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : 64).

ورد المقوقس رداً جميلاً ؛ فهتمت ما تدعو إليه ، وعلمت أن نبياً بقى ، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسلك وبعثت إليك بجاريتين لهما مقام فى القبط عظيم وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام .

والملفت للنظر فى هذه الرسالة أنها لم توجه إلى الحاكم الرومانى الفعلى لمصر ، لأنه كان فى نظر الرسول محمد

(1) المعروف باسم قيرس ، وكان معيناً من قبل هرقل الحاكم الرومانى لمصر .

صلى الله عليه وسلم مغتصباً ومحتلاً لها ، ولا يجوز الاعتراف بأحقية المعتصب فيما اغتصبه ولو مضى على ذلك سبعة قرون ، وإنما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالته إلى أحد أبناء مصر (قيرس) وهو المقوقس عظيم القبط (أى المصريين) .

رابعاً : إنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة :

كما أنه صلى الله عليه وسلم قد أوصى أمته بمصر وبشرها بالفتح ونبَّها إلى أهمية تحريرها من قبضة الرومان وإبلاغها دعوة الإسلام - وهذه من المبشرات ودلائل النبوة - : «ستفتحون مصر ، وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمّة ورحماً ، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان على لقيمة ، فاخرج منها» (رواه مسلم) ، وفى رواية «فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لهم صهراً وذمة» وصهر الأقباط (أى المصريين) إبراهيم عليه السلام الذى تزوج بهاجر التى أنجبت له إسماعيل جد العرب العدنانيين وجد النبى صلى الله عليه وسلم . وذمة الأقباط مارية التى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنجبت له ولده إبراهيم .

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبه إخوانه : «إذا فتح الله عليكم مصر ، فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً، فذلك الجند خير أجناد الأرض» ، فقال أبو بكر : «ولم يا رسول الله ؟» قال : لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة» .

وقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصين على تحقيق توجيهات النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كان الفتح الإسلامى⁽¹⁾ لمصر عام 20هـ / 641م بقيادة عمرو بن العاص فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، وكان ذلك بداية للتحويلات العظيمة التى وقعت فى حياة الشعب القبطى (المصرى) .

خامساً : أن لفظة قبطى تعنى مصرى ولا تعنى نصرانى .
لفظة قبطى مشتقة من الكلمات المصرية القديمة (الهيروغليفية) hi ka ptah التى تعنى معبد أو منزل الإله فتّاح ، ثم تطورت ؛ هى كابتاح إلى ايجبتوس التى تطورت فى

(1) أصبحت مصر ولاية من ولايات الخلافة الإسلامية منذ عام 21هـ/642م وحتى عام 254هـ/868م حيث كان ولاية مصر يعينون من قبل الخلافة الإسلامية فى المدينة المنورة أو دمشق أو بغداد .

العربية إلى قبط .

ولا يفوتنا هنا أن ننوه أننا قد أفدت إفادة كبيرة من «دراسات في تاريخ مصر الإسلامية» من إعداد أستاذين من أساتذة جامعة الأزهر هما الأستاذ الدكتور محمد جبر أبو سعدة ، والأستاذ الدكتور عبد الله إبراهيم راجح ، وكذلك ما نشر في مجلة المنار الجديد تحت عنوان «الفتح الإسلامي لمصر بين سياسة الدولة ومسيرة الدعوة» إعداد الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس .

والله من وراء القصد .

المؤلف

المبحث الأول

جالة مصر قبل الفتح الإسلامي⁽¹⁾

مصر تقع في قبضة الاستعمار الروماني لمدة سبعمائة عام تقريباً ، والرومان (أجداد الأوربيين) يستنزفون ثروات الأمة ويستذلون رجالها ونساءها .

كانت مصر مستعمرة رومانية منذ عام 47 ق. م ، يحكمها حاكم عسكري روماني يقبض بيده على الشؤون الإدارية والمالية والقضائية من مقره بالاسكندرية ، يعاونه ثلاثة فرق عسكرية رومانية يدفع نفقات إقامتها الأقباط (أى المصريون) ، أى أن مصر قد فقدت استقلالها السياسى .

كانت مصر تعتبر مخزناً لمد روما^(*) بالغلال ، لقد كان على شعب مصر أن يكدّ ويكدح لخدمة هؤلاء المستعمرين ،

(1) بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

(*) كان معدل ما ترسله مصر إلى روما سنوياً ، حوالى ستة ملايين أردب قمح أى حوالى ١٣٥ ألف طن أى ثلث ما تحتاجه من القمح سنوياً ؛ بل كان على مصر أن تظعم جيش الاحتلال الروماني المقيم بأرضها .

ويدفع أكثر مما يعود عليه من الأرض ، ضرائب وأتاوات ،
 ضريبة الرأس (***) وهى طابع العبودية وضريبة على الحيوانات
 والأمالك العقارية وما تحويه من أثاث ، وضريبة على
 التجارة ، وضريبة على من يدخل مصر أو ينتقل بين أقاليمها
 وضريبة على التركات ، وضريبة على الحمالين ، وضريبة
 لشراء تاج لكل حاكم جديد ، ذلك غير تسخيرهم فى
 الأعمال التى يحتاجها الرومانى المستعمر . فى ظل الاستعمار
 الرومانى عانى الأقباط من طبقية صارخة تتمشى مع سياسة
 الرومان الاستعمارية القائمة على مبدأ فرق تسد ، الطبقة
 العليا المواطن الرومانى أو المستعمر الرومانى ، منهم رجال
 الإدارة والجيش وكبار رجال الأعمال ويتمتعون بكافة الحقوق
 المدنية والسياسية .

أما الأقباط وهم الغالبية ، فقد حكمهم الرومان حكماً
 ظلوماً غشوماً واثقلوهم بالضرائب والالتزامات القاسية
 ومنعوهم من استخدام لغتهم حتى فيما بينهم وحرموا عليهم

(**) كانت مقدرة على البالغين من سن الرابعة عشرة حتى الستين . فى حين كان
 يعفى منها الطبقات العليا المؤلفة من الرومان والإغريق واليهود .

الجنديّة ، أما رجال الدين فقد لاقوا من الرومان الأمرين سواء في عهد وثنية الرومان أو بعد اعتناقهم المسيحية ، ثم وقفوا موقف العداء الصريح من رؤساء الكنيسة المصرية .

الرومان (أجداد الأوربيين) يضطهدون الأقباط ويمنعوهم من ممارسة شعائر دينهم ، والأقباط يهربون إلى الصحراء لمباشرة شعائر دينهم .

النصرانية ديانة غير مسموح بها في نظر الرومان ، وعيسى عليه السلام ليس رسولاً في زعمهم إزها هو ثائر متمرّد يستحق القتل .. هذه نظرة الروم أجداد الأوربيين أصدقاء العرب الأوفياء !!

في ظل الاحتلال الروماني الاستبدادي لمصر ، فقد الأقباط حريتهم العقديّة والفكرية ، وأجبروا على التّعبد إلى آلهة الدولة الرومية الوثنية ، وحينما اعتنق بعض أقباط مصر «النصرانية» بعد بعثة المسيح عليه السلام أزعجت هذه الظاهرة

الروم الوثنيين ، فأخذوا يضطهدون الأقباط النصارى حيث كثر جمعهم فى القرن الثانى الميلادى ، واشتد أذاهم حتى بلغ حداً مخيفاً جداً فى أواخر عهد الإمبراطور الأوربى (الرومى) دقلديانوس (ت 305م) .

أى أن ديانة عيسى عليه السلام لم تكن مسموحاً بها ، بل إن حكام رومية كانوا لا يعترفون بنبوة عيسى عليه السلام ، ويعتبرونه تائراً متمرداً يستحق القتل ، وأتباعه طائفة ينذر نموها بالخطر على الحكم الرومى .

وحيثما أصبحت النصرانية ديانة معترفاً بها ، تنفس أقباط مصر الصعداء ، لكن سرعان ما تبددت آمالهم ، حينما وقع الخلاف بين النصارى فيما يتصل بطبيعة السيد المسيح ، فمنهم من ذهب أنه له طبيعتين آلهية وبشرية ، ومنهم من قال أنه له طبيعة آلهية واحدة ، وقد اعتبر حكام روما (أبناء أوربا) الكنيسة المصرية كافرة وخارجة على عقيدة الروم الصحيحة على حد زعمهم . وقد لقى نصارى مصر هولاً وعتناً شديدين من المقوقس (قيرس) الذى عينته سلطة الاحتلال الرومى لجمع الناس على العقيدة الرومية ، ففشل فى مهمته ،

فلجأ إلى القسوة والعنف مع الأقباط النصارى مما اضطر بطريك اليعاقبة (بنيامين) إلى الهرب والاختفاء في الصحراء الغربية ثلاثة عشر عاماً ، لم يخرج من مخبئه إلا بعد أن أمنه المسلمون الفاتحون .

* * *

المبحث الثاني

أنموذج لشهادة بعض الأساتذة المتخصصين

عن الإضطهادات التي كان يعاني منها

الأقباط (نصارى وفلاسفة ويهود)

على يد قوات الإحتلال الرومانى والبيزنطى (47 ق.م)

وقبل الفتح الإسلامى⁽¹⁾

(1) نقدمها لأحفاد الروم والبيزنطيين الذين يرفعون شعارات الدفاع عن الأقليات النصرانية المضطهدة على أرض مصر وغيرها، نعرضها على أبناء الأقليات ليدركوا أن الأمن والأمان لم ولن يتحقق لهم إلا فى ظل وكنف الدولة الإسلامية . (والمراجع المعتمد عليها آخر المقال) .

ذكر أحد الأساتذة المتخصصين في تاريخ مصر نماذج من هذه المعاناه مؤيدة بمصادر أجنبية وعربية⁽¹⁾ ، فقال :

«انتشرت المسيحية في مصر (في ظل الاحتلال الروماني) في القرن الأول الميلادي بعد أن تسربت إليها من فلسطين القريبة منها ، وزاد أنصارها بسرعة في القرن الثاني وخاصة في عهد الامبراطور كومودوس (180 - 192م) .

«غير أن الرومان نظروا إلى قوة المسيحية في مصر نظرة ارتياب باعتبارها مصدراً للفوضى وإثارة التمرد على الحكومة الرومانية ومحاولة هدم كيائها» .

«غير أن أول اضطهاد شامل وجّهته الامبراطورية الرومانية ضد المسيحية في مصر بدأ في عهد الامبراطور دكيوس (249 - 251م) عندما أصدر مرسوماً في سنة 250م يقضى بأن يقدم أهالي مصر ما يثبت أنهم قدموا القرابين للآلهة الوثنية . بهدف الوقوف على أتباع الديانة المسيحية الذين يدفعهم

(1) لقد كان الرومان ينظرون إلى الأقباط أى المصريين الخاضعين لهم وغيرهم من الشعوب برابرة .

إخلاصهم لها للامتناع عن تقديم القرابين للآلهة الوثنية ،
 الأمر الذى يعرضهم للإدانة والحكم عليهم بالموت» .

وواصل الكاتب حديثه : «ومما يلفت النظر أن أتباع
 المسيحية المخلصين فى مصر لقوا أشد أنواع التنكيل راح
 ضحيته عدد كبير من الشهداء» .

«وقد بلغ الاضطهاد مداه فى عصر دقلديانوس (284 -
 305م) .. وذكر الكاتب أن عدد الذين قُتلوا من المصريين
 على يد قوات الاحتلال الرومانى يبلغ الآلاف ، وقد تركت
 بشاعة الاضطهاد أثراً عميقاً فى مصر والمصريين» .

«وحينما ظهر النزاع المذهبى بين رجلين من رجال
 اللاهوت هما آريوس وأثناسيوس حول طبيعة المسيح ، تبنى
 قسطنطينوس (353م) المذهب الأريوسى وأمر بطرد أثناسيوس
 من كرسى الاسكندرية ، ولكن الأخير رفض تنفيذ الأمر مما
 دفع سريانوس قائد قوات الاحتلال العسكرى الرومانى لمصر
 إلى مهاجمة الكنيسة مقر أثناسيوس وقتل الكثيرين من أفراد
 الشعب ، وهرب أثناسيوس وقضى معظم وقته مختفياً بين
 الرهبان أو فى أديرة مصر» .

ولما اختار الأريوسيون جورج الكبادوكي بطيركا على الاسكندرية ، بدأ سلسلة من الإجراءات العنيفة لإرغام الناس على قبول المذهب الأريوسي ، واستخدم القوة العسكرية في سحق كل أولئك الذين رفضوا اعتناق مذهبه ، وذلك بتعذيبهم أو قتلهم أو نفيهم» (ص 30) .

«ولما تولى جستين الأول (518 - 527م) عرش الامبراطورية البيزنطية ، كان على كرسى البطيركية الاسكندرية تيموثاوس الثالث (517 - 535م) . وقد حاول الامبراطور إرغام البطيرك على قبول مذهب الطبيعيتين ، ولكن الأخير رفض فأمر الامبراطور بطرد تيموثاوس بطيرك الاسكندرية ونفيه ، وجرت بسبب ذلك مذبحه مروعة راح ضحيتها الآلاف من الأقباط الذين حاولوا حماية بطيركهم من أيدي الجنود الرومانيين ، ولكن جنود الاحتلال الروماني تمكنوا من القبض على البطيرك ونفيه (ص 43)» .

«وعندما تولى الامبراطور جستينان عرش الامبراطورية البيزنطية ، حاول فرض المذهب الخلقيدوني (مذهب الطبيعيتين) على بطيرك الاسكندرية ثيودوسيوس الأول (535

- 567م) ، ولما رفض الأخير ، أرسل الامبراطور بدلاً منه بطريكاً ملكانياً أى تابع للمذهب الخلقيدونى هو بولس التبيسى (536 - 539م) لتولى كرسى الاسكندرية ، فلما وصل بولس لم يقبله المصريون وأطلقوا عليه يهوذا الخائن الذى استخدم ضد المصريين من وسائل الاضطهاد ما لم يستخدمه السابقون ، فصار يلقي بالمصريين فى الحمامات ليكونوا وقوداً لتسخين مياهها (ص 44) .

وحينما تولى هرقل أمر الامبراطورية البيزنطية (610 - 641م) عين بطريكاً على الاسكندرية وهو أسقف يدعى قيرس Cyrus ويعرف عند مؤرخى العرب باسم «المقوقس» ، ليكون قادراً على تهر الأقباط ، وهو من الذين اعتنقوا مذهب الإرادة الواحدة .

وبمجرد وصول قيرس إلى الاسكندرية فى خريف 631م ، هرب البطريك بنيامين . أما قيرس فحاول أن يشرح للمصريين المذهب المونوثلىتى ، على أنه لم يلق منذ البداية التوفيق ، وكان نصيبه الفشل الذريع ، ومن ثم أخذ قيرس يضطهد المصريين اضطهاداً رهيباً استمر عشر سنوات . مثال

ذلك ما حدث لمينا شقيق البطريك بنيامين ، فقد تعرض للتعذيب ، بأن أوقدت المشاعل ، وسلطت نارها على جسمه ، فأخذ يحترق ، حتى «سال دهنه من جانبيه على الأرض» ولكنه لم يتزعزع عن إيمانه ، فخلعت أسنانه ثم وضعوه فى كيس مملوء بالرمل ، وحمل فى البحر ثم رموه ، فمات غرقاً» (٤٩) .

وذكر كاتب آخر(*) .. نماذج من الاضطهادات التى كان يتعرض لها الأقباط فى ظل الاحتلال الرومانى والبيزنطى لمصر (عهد تراجان - 180م ، وسبتيموس سيفيروس - 193م ، ودكيوس - 249م ، فاليريان - 254م ، ودقلديانوس - 284م):

«عام 68م هاجم الوثنيون كنيسة الأقباط شرقى الاسكندرية وقتلوا القديس مرقس بعد أن جروه بالحبال فى شوارع المدينة حتى مزقوا لحمه .

(*) هذا البحث مقتبس من أوراق مصورة من مرجع فاتنى لم أدون عنوانه ومؤلفه ، ووجدت مشقة فى معرفته ، فلصاحبه الأجر والثوبة من الله .

وتعاقبت الاضطهادات واستخدم الأباطرة الرومان مع النصارى عموماً ومع شعب مصر على وجه الخصوص كافة ألوان التعذيب الوحشى من حرق وجلد وصلب وسلخ ونشر ورجم وتقطيع أعضاء وتهشيم أسنان وضرب بالسيوف وإلقاء إلى الوحوش المفترسة وسجن وغيرها مما لا يدخل تحت حصر من صنوف القسوة .

وازداد الأباطرة ونوابهم على المستعمرات غيظاً ، فبعد أن كانوا يعمدون إلى قتل الأفراد أخذوا يبيدون قرى ومدناً بأكملها بما فى ذلك الكنائس ، وكان بطارقة الكنيسة القبطية وعدد وافر من أساقفتها ورهبانها وعلمائها وقوداً لهذه المجازر الرومانية .

وقد تواصلت حملة الاضطهاد ضد الأقباط حتى بعد أن اعتنق الأباطرة النصرانية بسبب الانقسام الذى وقع بين كنيسة روما الكاثولوكية والاسكندرية الارثوذكسية حول طبيعة المسيح» .

ولم يقف الأمر عن حد اضطهاد الرومان للأقباط

النصارى، بل إن الأقباط كانوا يضطهدون الفلاسفة واليهود ،
والدليل :

«حينما اختير البطريرك كيرلس ليتولى أمر كنيسة
الاسكندرية (412 - 444) فى عهد الامبراطور ثيودوسيوس
الثانى (408 - 450) بدأ عهد الانقضاض على الهراطقة ،
وأغلق كنائسهم ، وصادر أموالهم ، ثم هاجم اليهود فى
المدينة ، وأجرى مذبحة مريعة فيهم ، وكان كيرلس على رأس
المظاهرات التى اشتعلت ضد اليهود ، وتوجه بها إلى
معابدهم ، فهدمها رأساً على عقب ، وطارد كل يهود المدينة ،
ونهب أموالهم دون أن يرده أحد (ص35)» .

كما حاول كيرلس القضاء على المدارس الفلسفية والوثنية
التي دأب فلاسفتها ومفكروها على مهاجمة الكنيسة بشدة .
وكانت هيباتيا الشخصية البارزة لأفكار تلك المدارس ، وكان
أن إتهمها الرهبان الثائرون بالسحر والوثنية . وفى مارس سنة
415م قبض عليها بعض الرهبان وقادوها إلى كنيسة قيصريوم
حيث قتلوها شر قتلة (ص36)» .

تحقيقه :

وبعد .. قد آن لنا أن نتساءل :

هل تعرض الأقباط (المصريون بما فى ذلك النصارى) لأى نوع من أنواع هذه الاضطهادات فى ظل الحكم الإسلامى منذ عهد عمرو بن العاص رضى الله عنه (20هـ - 641م) وحتى عصر السلطان عبد الحميد الثانى آخر خلفاء الدولة العثمانية⁽¹⁾ (1326هـ / 1908م) ؟

هل تعرض أقباط مصر لما تعرض له المسلمون على يد الصرب الأرثوذكس فى البوسنة والهرسك وكوسوفا ؟

هل تعرض أقباط مصر لما تعرض له شعب العراق على يد الأمريكان والانجليز ومن عاونهم من أبناء أوروبا ؟

لقد آن لنا أيضاً أن ندرك أن الرومان الذين أذاقوا الأقباط

(1) على اعتبار أن سياسة الدولة العثمانية بعد الانقلاب العسكرى الذى أطاح بالسلطان عبد الحميد الثانى كانت تدور فى فلك القوى الاستعمارية الصهيونية وإن كان على رأس الدولة خلفاء صوريين (أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الدولة العثمانية، ج 2 ، د. جمال عبد الهادى محمد ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر).

أشد صنوف العذاب ، هم الذين نرى أحفادهم فى مجلس العموم البريطانى ، والكونجرس الأمريكى ، والإعلام الغربى يتباكون على حقوق الأقباط المضىعة فى مصر وغيرها من بلاد العالم ويطالبون بالتدخل لحمايتهم ، إنهم الذئاب الذين يرتدون مسوح الغنم لإشاعة الفتن فى ربوع مصر الحبيبة والعالم الإسلامى . فهل نفيق قبل أن تُستدرج الأمة إلى فتن تأكل الأخضر واليابس ؟ ، وكيف الطابور الخامس عن الحديث عن عما يسمونه حقوق الأقباط المهضومة ؟

المبحث الثالث

الأسباب التي دفعت المسلمين إلى فتح مصر

أولاً : أداء واجب البلاغ والدعوة إلى الله امتثالاً لأمر الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٧) .
(المائدة - 67) .

ثانياً : إقامة دين الإسلام نظاماً حياتياً شاملاً على أرض الله كلها ومنها مصر ، يقول الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٩) .
(الصف - 9) . ويقول سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) (الأنبياء - 107) .

لقد آمن المسلمون أن لهم مهمة هي امتداد لمهمة محمد صلى الله عليه وسلم التي عبّر عنها ربّعى بن عامر بين يدي القائد الفارسي رستم : «إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار ، ومن جور الأديان إلى

عدل الإسلام» وهى نفس الكلمات التى ردها عبادة بن الصامت بين يدى المقوقس عظيم القبط .

لقد اعتقد المسلمون أن مقتضيات الإسلام ، توجب على المسلمين تحرير الإنسان والديار والثروات من قبضة الروم المعتصيين ، سفاكى الدماء ومنتهكى الأعراض ، وإن أى تراخ فى دفع العدو الصائل وطلب العدو المحارب يمكن أن يؤدى إلى عواقب وخيمة ، خاصة أن هذا العدو لا يعرف معنى للحياة بدون الغدر وسفك الدماء وامتصاص دماء الآخرين وثرواتها .

ثالثاً : بالإضافة إلى ما سبق فإن مطاردة قوات الاحتلال الرومانى بأرض مصر والشمال الأفريقى ضرورى حتى لا يتمكن العدو من حصار بلاد الشام وجزيرة العرب من الجنوب والغرب ، بل وأيضاً حرمان العدو من الانطلاق من ثغور مصر والاسكندرية وطرابلس الغرب لمهاجمة ثغور بلاد الشام الإسلامية .

كما أن فتحها كما أخبر عمرو بن العاص يمكن أن يكون

للمسلمين عوناً لهم لكثرة خبراتها ، ويهيء أيضاً قاعدة آمنة لفتح الأندلس وما وراءها (1) .

رابعاً : تحقيق بشارة النبي محمد صلى الله عليه وسلم : «ستفتحون مصر ، وهى أرض يُسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً» .

أمير المؤمنين يشاور إخوانه فى فتح مصر :

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعقد مؤتمراً عسكرياً بالجابية سنة 17هـ (638م) بعد فتح الشام وتسلم مفاتيح القدس للتشاور فى أمر فتح مصر كخطوة أولى باتجاه أفريقيا .

عمرو بن العاص يقدم معلومات متكاملة عن الخريطة النفسية والفكرية والسياسية والعسكرية لمصر . أمير المؤمنين يتخذ القرار بفتح مصر مع إسناد عملية التنفيذ إلى جيش الفتح الإسلامى بقيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه .

(1) دراسات فى تاريخ العرب ، تاريخ الدولة العربية ، أ.د. السيد عبد العزيز سالم ، ج 2 ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ص 212 وما بعدها .

المبحث الرابع

الله رب العالمين يأذنُ في تحرير مصر

على يد الصحابة بعد بعثته ﷺ

وقد وصلت طلائع الفتح الإسلامي (أربعة آلاف مجاهد) بقيادة عمرو بن العاص السهمي إلى مصر (العريش) في ذي الحجة سنة 18هـ أول المحرم سنة 19هـ / يناير 640م ولم تشر المصادر إلى قتال حدث عند فتحها . وبعدها واصل الفاتحون السير إلى الفرما ومنها إلى بلبس حيث استطاع المسلمون أن يقهروا جند الروم بقيادة الأرتطون ويفتحوا المدينة .

وفي جمادى الآخرة سنة 19هـ / 6 من يونيو سنة 640م وصل مدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبلغ إثنا عشر ألفاً من الجنود ، وكان يقود هذا المدد أربعة من كبار الصحابة : الزبير بن العوام الأسدي ، وعبادة بن الصامت الخزرجي ، والمقداد بن الأسود ، ومسلمة بن مخلد ، وقيل خارجة بن حذافة العدوي دون مسلمة .

وحاصر المسلمون حصن بابلون حيث تتركز قوات الاحتلال الروماني ومعهم المقوقس ، الذي أرسل رسلاً يستطلعون أحوال المسلمين ، ولما رجعوا سألهم :

«كيف رأيتموهم ؟ قالوا : «رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضعهم ولا السيد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم ويتخشعون في صلاتهم» . ولا أزيد على أن أقول إن محاربين هذه مبادئهم وأخلاقهم وتقاليدهم لجديرون بتحقيق أروع الانتصارات» .

وعندئذ قال المقوقس : «والذي يُحلف به ؛ لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتالهم أحد . ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم ، وهم محصورون بهذا النيل ، لم يجيونا بعد اليوم إذا مكثتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم» .

المقوقس يطلب وفداً من المسلمين لمقابته :

أرسل المقوقس (1) إلى القائد عمرو بن العاص : «أرسل إلينا أحداً من عقلائكم ، حتى نتكلم معه ، ما يكون فيه أمر الصلح بيننا وبينكم» ؛ فأرسل إليه عمرو بن العاص ، عشرة من الصحابة ، وكبيرهم عبادة بن الصامت ، رضى الله عنه ، وكان أسود اللون ، وقيل المقداد بن الأسود .

فلما دخلوا على المقوقس استصغر قدر عبادة بن الصامت لسواده ، فقال المقوقس : «نحوا عنى هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمنى» ، فقالوا : «هذا الأسود أفضلنا ، وهو سيدنا» ، فقال المقوقس لعبادة : «تقدم يا أسود ، وكلمنى برفق ، فإننى أهاب سوادك» ، فتقدم عبادة إليه ، وقال : «قد بعثنا الأمير عمرو بن العاص على إحدى ثلاث خصال : إما تدخل فى الإسلام ، وإما تعطى الجزية ، وتكون آمناً على

(1) فتوح مصر وأخبارها، ابن عبد الحكم أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أيمن القرشى المصرى، تحقيق محمد الحجيرى - دار الفكر بيروت - ص 143 وما بعدها.

نفسك من القتل ، وإمّا نقاتلك وتقاتلنا ولا ثمّ لها وجه رابع» . فقال المقوقس : «إن عساكر الروم ما لا يحصى عددهم ، وأنا أخشى أن يقع بينكم القتال ، فيقتلونكم عن آخركم ، وقد طابت أنفسنا أن نصالحكم ، صوتاً لنا ولكم من القتل ، على أن نفترض أن يكون لكم على كل رأس من القبط ديناران ، ولأميركم مائة دينار ، ولخليفتم ألف دينار ، فتقبضونها وترحلوا عنا إلى بلادكم ، قبل أن تحاط بكم عساكر الروم» .

فقال عبادة بن الصامت : «يا هذا أما تخويفك لنا بعساكر الروم من القتال ، فنحن أرغب ما نكون في قتالهم ، فإن ظفرنا بكم ، فله الحمد ، وإن ظفرتم بنا ، فنحن أشوق إلى لقاء الله تعالى ، والمسير إلى الجنة ، وأما ما ذكرته من المال ، فنحن قوم لا نبالي بالمال ، إن كُثر ، ولا إن قلّ» .

فقال المقوقس : «أفلا تجيئوننا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال؟» فقال عبادة : لا ورب السماء والأرض ، فاختراروا لأنفسكم منهم خصلة» .

وشاور المقوقس إخوانه ، فرفضوا عرض المسلمين ،
وقرروا المواجهة .

المسلمون ينزلون خسائر فادحة بقوات الإحتلال الرومانى فى
مصر ، وأقباط مصر كانوا يريدون الصلح بدون قتال لولا
ضغط امبراطور الروم :

وبدأت المناوشات ، ولقن المسلمون الروم دروساً قاسية
فى الهزيمة ، ولهذا طلب المقوقس الصلح وبدأت المفاوضات
ولم يغير المسلمون من شروطهم ، واختار الروم دفع الجزية
مع الخضوع والإذعان ، وكتبت شروط الصلح ، على أن
تعرض على الامبراطور فى العاصمة القسطنطينية ، كى يوافق
عليه ويقره ، وتعهد المقوقس بصفته نائب الامبراطور بأن يقوم
بإرسالها إليه .

واستمر حصار المسلمين لحصن بابليون لمدة سبعة أشهر ،
تلقى أثناءه المقوقس رسالة من الامبراطور الرومى (هرقل)
يأمره بأن يقاتل المسلمين ويذكره بأن لديه مائة ألف من
الرومان (جنود الإحتلال) فى مصر مجهزين للقتال ، وحذر
الامبراطور المقوقس من مخالفة تعليماته .

لكن المقوقس لم يأبه لرد الامبراطور ، ورفض تنفيذ تعليماته وأرسل إلى القائد عمرو بن العاص يعلمه بأنه على استعداد لعقد الصلح مع المسلمين رغم رد الامبراطور ، جاء فيها :

«إني لم أكن متخل عما دخلت فيه وعاقدتك عليه ، إنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني ، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ، ولم يأت من قبلهم نقض ، والقبط متم وموفّ لك الصلح الذي صالحتهم عليه وعاهدتهم ، وأما الروم فأنا بريء منهم»⁽¹⁾ .

وبعدها فتح⁽²⁾ الحصن أبوابه للمسلمين يوم الجمعة السادس من شهر أبريل سنة 641م/ ربيع الثاني سنة 20هـ على أن يخرج الجنود الرومان من الحصن بدون السلاح في

(1) وهو يعتمد على كتاب ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ، 104 ، 105 ، بسام العسلي ، عمرو بن العاص ص 58-60 .

(2) رأى الزبير خللاً في سور الحصن ، فنصب سُلماً وأسندته إلى الحصن وقال : «إني أحب نفسي لله تعالى ، فمن شاء أن يتبعني ، فليفعل» ، فتبعه جماعة حتى أوفى على الحصن فكبر وكبروا ، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا ، ففتح الحصن أبوابه للمسلمين .

مدى ثلاثة أيام إلى حيث شاءوا .

شروط الصلح وعهد الأمان الذي أعطاه عمرو بن العاص
لأهل مصر بقيادة المقوقس ، وقد جاء فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو بن
العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم
وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء
من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوب ، وعلى أهل مصر
أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة
نهرهم ، خمسين ألف ألف ، وعليهم ما جنى لصوتهم فإن
أبى أحد منهم أن يجيب رُفَع عنهم من الجزية بقدرهم وذمتنا
ممن أبى بريئة . وإذا نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رُفَع عنهم
بقدر ذلك . ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله
مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى واختار
الذهاب ، فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ،
عليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم .
على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة
أمير المؤمنين ، وذمم المؤمنين . وعلى النوبة الذين استجابوا

أن يُعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا فرساً ، على ألا يُغزوا ولا يُمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة» . «وشهد عليه الزبير وعبد الله ومحمد ابناه . وكتب وردان⁽¹⁾ وحضر» .

قوات الفتح الإسلامي تواصل تحركها باتجاه الاسكندرية :

وبعدها توجه عمرو بن العاص إلى الاسكندرية - بعد أن استخلف على مصر خارجة بن حذافة العدوى - وكان بها حامية رومانية لا يقل عددها عن خمسين ألف جندي ، يعاونهم الأسطول البيزنطي في البحر المتوسط ، وكان الحصار ، وكان الفتح صلحاً⁽²⁾ في سنة 20 هـ / أوائل شهر نوفمبر عام 641 م على أن يرحل المستعمر الروماني عن مصر إلى غير رجعة ، ودخل المسلمون الاسكندرية في شهر شوال سنة 21 هـ / 17 سبتمبر 642 م .

(1) تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 - 310هـ) ، ط 4 ، دار المعارف القاهرة ، ص 109 ، البداية والنهاية ، ابن كثير (ت - 774) ، دار ابن كثير - بيروت - لبنان - ج7 - ص 98 ، الكامل في التاريخ ، لابن الأثير (630هـ) - دار الكتاب العربي - بيروت - ج2 - ص 396 ، بناء دولة الإسلام (41 - 50) ، محمود شاكر ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1409 ، ص 55 - 56 .

(2) وقيل إن عمرو فتح الاسكندرية بالسيف بعد حصار وقاتل استمر ثلاثة أشهر .

انتقاض الروم (الأوربيين) فى الاسكندرية :

صدق الله العظيم : ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢) .

إن الروم بالاسكندرية قومٌ عُذْرٌ ، والدليل أنهم كاتبوا امبراطور الروم يهونون عليه العودة إلى الاسكندرية لقلّة ما بها من حامية المسلمين . فبعث قسطنطين رجلاً من أصحابه فى ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة (الروم) ، فدخل الاسكندرية وقتل من بها من المسلمين المرابطين إلا من استطاع النجاة بنفسه .

وبلغ عمرو الخبر فسار إليهم ، وكان (منويل) قائد الروم قد تقدّم نحو الجنوب ورجاله يعيئون فى الأرض فساداً : ينزلون القرى فيشربون خمرها ويأكلون أطعمتها ، حتى وصلوا نفيوس (بين الاسكندرية وبابليون) ، اشتبكوا بالمسلمين الذين كان عددهم خمسة عشر ألفاً بقتال عنيف فى البر والبحر ، وكثر الترامى بالنشاب حتى أصابت فرس عمرو، فنزل عنه .

وشدد المسلمون على الروم وقاتلوهم قتالاً مستميتاً حتى غلبوهم على أمرهم ، فانهزم الروم ، وطاردهم المسلمون فتحصن الروم بالاسكندرية ، ولكن المسلمين قاتلوهم أشد قتال ونصبوا المجانيق حتى دخلها المسلمون عنوة» .

وكانت هذه آخر المعارك التي أدرك العدو الرومي بعدها أنه لا قبل له بمواجهة المسلمين ، ولا أمل له في احتلال مصر مرة أخرى (1) .

أى أن مصر تحررت من الاحتلال الروماني بعد سبعمائة سنة على يد قوات الفتح الإسلامي على عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

«وبهذا التاريخ أصبحت مصر جزءاً من العالم الإسلامي ، واستمرت على هذا النحو طيلة عهد عمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين ، وطيلة العهد الأموي والعهد العباسي والعهد العثماني (حتى عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1908 م 1326 هـ) ، ودخل أقباط مصر في دين الله

(1) قادة فتح الشام ومصر ، ص 143 - 145 .

أفواجاً كما ذكر توماس أرنولد ، والسبب أن الأقباط أدهشهم المسلمون بدعوتهم إلى الإسلام ، الذي يمتاز بالعقيدة السهلة والفكرة الواضحة التي لا تستعصى على الفهم ولا تمتنع على عقل الإنسان ، لكل إنسان أن يتأملها ويتفهمها فيدركها إدراكاً لا شائبة فيه ، فكانت الحقيقة المرة - كما شاء أن يصفها بتلر - أن كثير من أهل الرأي العقلاء لجأوا إلى الإسلام فاعتصموا بأمنه واستظلوا بوداعته وطمأننته وبساطته» .

«كما أسلم الكثير من الروم الذين رفضوا العودة إلى روما وآثرو البقاء في ظل العدل الإسلامي . وتعلم الأقباط اللغة العربية ، لغة الدين والثقافة والحضارة ، لم يجبرهم أحد على ذلك ، وإنما جاء ذلك نتيجة طبيعية لاعتناق الإسلام ، وأطلق المسلمون الحرية الدينية وأصدر عمرو بن العاص بياناً بعد تمام الفتح» :

«أيما كان بطريق القبط بنيامين ، نعهده بالحماية والأمان ، وعهد الله فليات البطريق إلى هاهنا في أمان واطمئنان ليلي أمر ديانته ويرعى أهل ملته» .

«لقد أمن الأقباط (أى المصريون) فى ظل الحكم الإسلامى على عقائدهم وأعراضهم وأموالهم وأولادهم ، وتمتعوا بحقوق المواطنة المدنية والسياسية ، وانتهى عهد السيطرة ، وألغيت كل أنواع الضرائب التى فرضها المستعمر الرومانى» .

«وحينما بلغ البطريك بنيامين إعلان الأمان الذى أصدره الفاتحون المسلمون للأقباط ، خرج من مخبئه ودخل الاسكندرية بعد غيبة استمرت ثلاثة عشر عاماً ، ظل فيها مختفياً بعيداً عن ظلم الرومان وعسفهم ، عاد بنيامين ليجد الحال فى مصر فى ظل الحكم الإسلامى غير الحال فى ظل الحكم الرومانى ، والناس غير الناس ، فما كان أسعده بهذا التغيير العظيم الذى شمل بلاده ورعاياه من الأقباط ، فما ملك مشاعره وأطلق أحاسيسه لتعبر عما يجيش فى صدره من الغبطة والبهجة ، فقال : «كنت فى بلدى وهو الاسكندرية فوجدت بها أمناً من الخوف ، واطمئناً بعد البلاء ، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم (يقصد الرومان) ، ثم وصف قومه (أى شعب مصر) بأنهم فرحوا كما يفرح الأسخال إذا ما حلت لهم قيودهم ، وأطلقوا ليرتشفوا من

ألبان أمهاتهم» .

«أما حنا النقوسى - ذلك الأسقف المتعصب - فلم يملك إلا أن يقول وهو يتحدث عن عمرو بن العاص : «إنه لم يضع يده على شىء من ملك الكنيسة ، ولم يرتكب من النهب أو الغصب ، بل إنه حفظ الكنائس وحماها إلى آخر حياته» .

لقد أصبح القبط فى مآمن من الخوف الذى كان يلجئهم إلى إنكار عقيدتهم أو إخفائها تقيّة ومداراة ، لقد حرص المسلمون على تمكين الأقباط من ممارسة عبادتهم وإقامة شعائرهم فى كنائسهم ، أما عن بناء الكنائس الجديدة فيذكر ابن عبد الحكم أن أول كنيسة بنيت بفسطاط مصر كانت فى أيام مسّلمة بن مخلد (47 - 62 هـ) . وقد ذكر سعيد بن بطريق فى تاريخه : أن عبد العزيز بن مروان كان له فراشون نصارى ملكية ، فأستأذنوا فى بناء كنيسة لهم ، فأذن لهم فبنوا كنيسة مار جرجس بحلوان وكانت تسمى كنيسة الفراشين ، وكان له كاتب يعقوبى فأستأذن فى بناء كنيسة فأذن له أن يبنى كنيسة فى قصر الشمع» .

«وفي سنة 117 هـ أذن والى مصر الوليد بن رفاعة (109 - 117 هـ) للنصارى فى ابتناء كنيسة لهم بالحمراء» .

«وهكذا تحققت لنصارى مصر الحرية الدينية بأكمل معانيها بعد الفتح الإسلامى ، فمن جانب عدم تدخل المسلمين فى المذهب الذى يدين به هؤلاء وأولئك ، إلى حماية الكنائس جميعاً ، إلى مساعدتهم فى بناء ما تهدم منها فى سنى العذاب المريرة فى ظل الحكم الرومانى ، إلى الإذن لهم فى ابتناء الكنائس الجديدة ، وأخيراً إلى تركهم يحتفلون بكل مناسباتهم الدينية المتعددة» .

المبحث الخامس

مصر في ظل الفتح الإسلامي

رخاء اقتصادي وأمان اجتماعي وتقدم علمي

«وفي ظل الحكم الإسلامي نشطت الصناعة ونمت الزراعة والتجارة وأصبحت الاسكندرية أكبر أسواق العالم وأكثر الثغور ازدهاماً وحركة وكانت بها تجارة عظيمة في القمح والكتان والورق والزجاج والعاج من بلاد النوبة وأثيوبيا ، وكانت فوق ذلك تصب فيها سلع وبضائع الهند والصين» .

«ولم يبق من الضرائب الكثيرة والمتعددة التي كان يتحملها الأقباط طيلة عهد الاحتلال الروماني (600 سنة) إلا ضريبة الخراج وهي ضريبة تؤخذ على أنواع المال : الزراعي والصناعي والتجاري .

والجزية (ديناران) وهي تؤخذ من الشباب القادر على الكسب نظير الدفاع عنه وهي بمثابة تأمين للمعاش بعد أن يكون عاجزاً عن الكسب . ولا تؤخذ من الشيخ الفاني

والصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا النساء» .

«لقد أدرك المسلمون ، أهمية دور مصر فى حركة التجارة العالمية ، وأدركوا كذلك أهمية الدور الكبير الذى تلعبه التجارة الداخلية فى هذه الحركة العالمية ، فاهتموا بها اهتماماً عظيماً ، وأتاحوا للتجار الأقباط أن يأخذوا مكائنتهم فى تجارة مصر ، وهيأوا لهم حرية التجارة فى الميدان التجارى ، لم يكن لهم أن يتمتعوا بها من قبل فى ظل الاحتلال الرومانى» .

«كما أن المسلمين أبقوا على مختلف النظم التى عرفتها مصر منذ أقدم العصور ، وأطلقوا لأهلها حرية العقيدة ، وأمنوهم على أنفسهم وأموالهم . وتركوا لهم سائر الوظائف والصناعة والزراعة والأعمال ، واكتفى المسلمون بالإشراف على شئون الدولة والقضاء والشرطة وقيادة الجيوش والحكم . كل ذلك كان باعثاً قوياً لكثير من المصريين على الدخول فى الإسلام ، وصار لزاماً عليهم أن يتعلموا اللغة العربية حتى يستطيعوا قراءة القرآن وفهم أحكام الدين الإسلامى ، والانخراط فى سلك الدواوين التى بدأت حركة تعريبها على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه» .

«وما أن انسلخ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) حتى دانت الغالبية العظمى من أهل مصر بالإسلام وبقيت أقلية نصرانية وأضححت اللغة العربية لغة كل المصريين فى الدواوين والتخاطب والعبادة والثقافة والفكر والعلم ، يتكلم العربية ويتعامل بها كل المصريين سواء كانوا مسلمين أو نصارى أو يهود» .

وهكذا وجد الأقباط فى المسلمين غير ما كانوا يجدونه من البيزنطيين الرومان ، فأقبلوا فى حماس دافق يتعاونون مع المسلمين فى إدارة شئون مصر ، يحفزهم أنهم كانوا يومئذ أكثرية بين العاملين فى شتى الوظائف بأنحاء البلاد ، كانوا يملكون الأرض ، ويزرعونها دون تدخل من السلطة الإسلامية الحاكمة ، وكانوا يديرون اقتصاد البلاد ، بل كانوا رؤساء المالية طوال العصر الأموى وكانت سائر الوظائف المدنية بأيديهم . ولهذا كان تقدير النصارى للمسلمين عظيماً ، وقابلوا الفضل بالعرفان والتقدير ، وإخلاصهم فى العمل الذى ولاهم إياه المسلمون . ونعمت مصر بالاستقرار واستمتع أهلها بهدوء الحياة التى لا يشوبها كدر الخلافات

الدينية ولا يشوب بهجتها مشكلات سياسية أو اقتصادية» .

«وقد هيا الفتح الإسلامي لمصر أن تقوم بدورها التاريخي المنتظر منها في إعداد وتجهيز الجيوش البرية والأساطيل البحرية وبعثها إلى أفريقية والمغرب ثم الأندلس ليتحقق للمسلمين السيادة على مياه البحر الأبيض المتوسط ، وتحقيق الأمن والأمان لكل إنسان ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) . (الأنعام :

(٨٢)

لماذا انتصر المسلمون وفتحت لهم الأمصار؟

«سأل هرقل أحد جنده الذي كان أسيراً لدى المسلمين ، ثم منوا عليه بإطلاقه : أخبرني عن هؤلاء القوم؟ فقال : أحدثك كأنك تنظر إليهم ، فرسان بالنهار رهبان بالليل ، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمرن ، ولا يدخلون الا بسلام ، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه . فقال هرقل : لئن كنت صدقتني ليرثن ما تحت قدمي هاتين» (١) .

(١) الطبرى - ج3 ، ص 602 .

وقد ذكر الكاتب نقلاً عن الدعوة إلى الإسلام ص 128 عن الأقباط فى مصر : «ملئوا مناصب الوزراء والكتاب فى دواوين الحكومة ، وحددوا قيمة الضرائب التى تجبى على الأرض التى تعطى على سبيل الالتزام ، وجمعوا ثروة ضخمة فى بعض الحالات ، ولقد أمدنا تاريخ كنيسهم بكثير من الأمثلة عن رجال الكنيسة الذين تمتعوا بعطف الأمراء الذين حكموا بلادهم ، ونعم القبط فى عهدهم بأقصى درجات الطمأنينة (ص 74)» .

شهادة أرمانوسة القبطية

بنت المقوقس وهى محصورة فى بلبيس :

«حينما حاصر المسلمون الجنود الرومان فى منطقة بلبيس ، خشى النساء على أنفسهن من المسلمين ، تصوروا منهن أن المسلمين مثل المجرمين الرومان ، الذين يغتصبون النساء ويتهكون الأعراض ، ولكن أرمانوسة بنت المقوقس طمأنت النسوة وقالت لإحدى وصفاتها :

«أنت واهمة يا مارية (وصيفتها) ، أنت واهمة يا مريم !

أنسيت أن أبى قد أهدى إلى نبيهم بنت أنصنا - مارية القبطية عليها السلام - فكانت عنده فى مملكة بعضها السماء وبعضها القلب ، لقد أخبرنى أبى أنه بعث بها لتكشف له عن حقيقة هذا الدين ، وحقيقة هذا النبى ، وأنها أنفذت إليه دسيساً يعلمه أن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذى سيضع فى العالم تمييزه بين الحق والباطل ، وأن نبيهم أظهر من السحابة فى سمائها ، وأنهم جميعاً ينبعثون من حدود دينهم وفضائله ، لا من حدود أنفسهم وشهواتهم ، وإذا سلُّوا السيف سلُّوه بقانون ، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون» .

وقالت عن النساء : «لأن تخاف المرأة على عفتها من أيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبى ؛ فإنهم جميعاً فى واجبات القلب وواجبات العقل ، ويكاد الضمير الإسلامى فى الرجل منهم يكون حاملاً سلاحاً يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته» .

«وقالت لها أرمانوسة أيضاً : «لقد أخبرنى أبى أن هذا الدين سيندفع بأخلاقه فى العالم اندفاع العصارة الحية فى الشجرة الخضراء ؛ طبيعة تعمل فى طبيعة ، فليس يمضى

وقت غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمى ظلالها» (1) .

وقد صدقت فراسة أرمانوسة ، إذ أن عمرو بن العاص أرسل أرمانوسة وجميع مالها وخدمها معززة مكرمة إلى أبيها المقوقس ، في حراسة جند الإسلام بقيادة قيس بن أبي العاص السهمي .

* * *

(1) أ.د. عبد الحلیم عویس ، الفتح الإسلامي لمصر ، المنار الجديد ، عدد يناير سنة 1998 ، ص 63 وما بعدها ، هو يعتمد على مصطفى صادق الرافعي ، من وحى القلم ، ص 36 ، وقصة اليمامتان ، نشر مهرجان القراءة ، عام 1995 ، مصر ، بسام العسلي ، عمرو بن العاص ، ص 52 : 53 .

المبحث السادس

قوات الفتح الإسلامي تواجل فتحها للأمصار

وقد وجّه عمرو بن العاص بعض إخوانه لمواصلة الفتح داخل مصر :

فوجه عبد الله بن حذافة السهمي إلى عين شمس ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح بابلين .

ووجه خارجة بن حذافة العدوي إلى الفيوم والأشمونين وإخميم والبشروقات وقرى الصعيد ، فصالحها أيضاً على مثل صلح بابلين (الفسطاط) .

ووجه عمير بن وهب الجمحي إلى تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقّهلية وبنا وبوصير فصالحها على مثل صلح بابلين .

ووجه عقبة بن عامر الجهمي ويقال وردان مولاه إلى سائر

قرى الأرض ففعل مثل ذلك . وبذلك استجمع عمرو فتح مصر .

كما وجّه عقبه بن نافع الفهري على رأس جيش إلى زويلة ، فلما وصلها دان كل من كان فيها وصالحهم .

وبعد أن أتم عمرو بن العاص رضى الله عنه فتح مصر توجه بنفسه إلى برقة فصالح أهلها ، ووجه رسالة بعدها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «إن الله قد فتح علينا أطرابلس وليس بيننا وبين أفريقيا إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل» .

ولكن عمر رضى الله عنه رأى التريث حتى يتم نشر الإسلام وتربية الناس على الإسلام فى الأمصار المفتوحة(2) .

المبحث السابع

الأقباط (المصريون) ينعمون بالعدل

بعد أن أعزهم الله بالإسلام

الدليل الأول :

حينما ضرب محمد أحد أبناء عمرو بن العاص (رضى الله عنه) قبطياً (مصرياً) ، شكاه الأخير إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الذي استدعى الشاكي والمشكو في حقه ووالى مصر عمرو بن العاص (رضى الله عنه) ، وحينما تأكد من صحة الشكوى ، أعطى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الدرّة إلى القبطى الشاكي ليضرب ابن حاكم مصر ويقتص منه ، وبعد أن أخذ حقه أمره عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أن يمسح بالدرّة على رأس والى مصر ، وحينما اعترض القبطى قائلاً لقد أخذت حقى ممن ضربنى يا أمير المؤمنين ، قال له عمر (رضى الله عنه) امسح بها على رأسه لأنه ما ضربك إلا بسُلطان أبيه .

الدليل الثانى:

الذى يعكس العدل الذى نعم به الأقباط فى ظل الحكم الإسلامى :

قبطى (مصرى مسلم) يتهمه حاكم مصر - عمرو بن العاص - (رضى الله عنه) بالنفاق ، القبطى يشتكيه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يوجه خطاباً إلى والى مصر : من عمر بن الخطاب إلى العاصى بن العاص ، إذا ثبت إدعاء القبطى فأجلس ليضربك أربعين وقيل سبعين ، وثبت الإدعاء وجلس عمرو بن العاص ليقصص منه القبطى الذى قال : يا عمرو من يمنعك منى الآن ؟ فرد عليه : لا أحد ، امضى لما أمرك به أمير المؤمنين اقتص لنفسك ، فقال له القبطى : أُشهدُ الله يا عمرو أنى قد عفوت عنك ابتغاء مرضاة الله .

إنها نقلة كبيرة فى حياة الشعب المصرى الذى كان يعانى المهانة والاستذلال والظلم فى عهد الاحتلال الرومانى ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه أو عرضه ، بل ولا يستطيع أن يقاضى من ظلمه ، فلما أكرمهم الله بالإسلام ، وأعزهم بهذا

الدين ، أصبحوا لا يطيقون الظلم ويسعون لدفعه لأنهم عاشوا فى ظل الحكم الإسلامى الذى علمهم عدم جواز السكوت على الظلم ووجوب دفعه لقول النبى صلى الله عليه وسلم : «لو أخذوا على أيديهم لنجوا ونجوا جميعاً» .

* * *

المبحث الثامن

من المتطرف : المسلمون أم أعداؤهم .. أعداء الإنسانية ؟

هذه شهادة التاريخ في ذكرى الفتح الإسلامي لمصر ،
الفتح الذي لم يستحل دمًا لشيخ أو لراهب أو لطفل ، الفتح
الذي لا يسمح بحرق نخلة أو شجرة مثمرة ، أو ذبح بهيمة
إلا للمأكلة .

تتابع الذكريات في وقت تتداعى الأمم على الأمة
الإسلامية كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، يشيعون عنها
التطرف والإرهاب ويستنصرون عليها الدنيا ويحشدون القوة
لتمزيقها واحتلال ديارها ، وسيلتهم في ذلك إشعال نار الفتنة
الطائفية اعتماداً على ضعف النفوس من أبناء الأقليات ، ومن
أجل هذا لا بد من عمل مقابلة بين معاملة غير المسلمين
للمسلمين في مقابلة معاملة المسلمين لغير المسلمين .

* معاملة ألفونس وايزابيلا⁽¹⁾ للمسلمين في الأندلس

بعد انهيار الحكم الإسلامي في غرناطة الذي استمر يحكم الأندلس ثمانية قرون (92 - 892 هـ) .. أين الجامعات الإسلامية في قرطبة وأشبيلية وغرناطة التي تعلم فيها أبناء أوروبا علوم العصر؟؟ إن الحكم الأسباني الصليبي نصب محاكم التفتيش للمسلمين .. لقد أباد وشرّد ملايين من أبناء المسلمين وذلك غير انتهاك الأعراض وسلب الثروات والديار والأموال والأموال .. لم يبق في الأندلس إلا الدور والمساجد والمظاهر الحضارية علامة على أنه كان هناك مسلمون .. هل هذا تسامح!!؟ .

* ماذا فعلت كاترين وإيفان قياصرة الروم الأرثوذكس

بالمسلمين في تاتاريا⁽²⁾ والقرم؟

* ماذا فعل الثوار البلاشفة ستالين ولينين وغيرهم

(1) مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس ، محمد على قطب ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، ديوان التحقيق والمحاكمات الكبير ، محمد عبد الله عنان ، دار الكتاب المصري .

(2) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، محمود شاكر ، المكتب الإسلامي ، دمشق .

بالمسلمين . . إبادة وتشريد وانتهاك أعراض وسلب ثروات وديار وأملاك أربعة وعشرين مليون مسلم .

* ماذا فعل عباد البقر الهندوس بالمسلمين فى شبه القارة الهندية ، ماذا فعل الاستعمار البرتغالى والأسبانى بديار الإسلام⁽³⁾ ؟ ضرب المساجد بالمدفعية ، مهاجمة مراكز الحجيج فى البحار ، التمثيل بالمسلمين وتخييرهم بين التنصر أو القتل ؟

* ماذا فعل الاستعمار الأوروبى الانجليزى بشعب مصر⁽⁴⁾ وشعب فلسطين وشعوب القارة الهندية . . ماذا فعل الإيطاليون بالمسلمين فى طرابلس الغرب⁽⁵⁾ (1913 م) . . ماذا فعل الفرنسيون بالمسلمين فى سورية وتونس والجزائر

(3) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، أفريقيا يراد لها أن تموت جوعاً ، د. جمال عبد الهادى وآخرون ، دار الوفاء ؛ المجتمع الإسلامى المعاصر ، أفريقيا ، أ. على أحمد لبن ، جمال عبد الهادى ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة .

(4) مصر بين الخلافة العثمانية والاحتلال الانجليزى ، د. جمال عبد الهادى ؛ دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة .

(5) حاضر العالم الإسلامى ، ل. ستودارد ، ترجمة عجاج نويهض ، تعليق سكيب ارسلان ، دار الفكر ، بيروت 1972 ، ج2 ، صفحات 66 - 85 ، 129 - 135 ، 178 ، 228 .

والمغرب ..؟ قتل وتنكيل وتشريد وسرقات واحتلال البلاد وغصب للثروات .

* ألم يقتل الأوربيون ثمانين مليون من الهنود الحمر عند اغتصابهم للقارتين⁽¹⁾ الجديدتين (الأمريكتين) ؟

* ألم تقم القوات الأمريكية والانجليزية ومازالت بصب أسلحة الدمار الشامل على أطفال وشعب العراق في بغداد سنة ١٤١٩هـ بعد أن مزقوه إلى ثلاث دويلات ؟

* ألم يحتل الانجليز فلسطين⁽²⁾ ويعاونوا الصهاينة مع الفرنسيين والألمان والروس والأمريكان على إبادة وتشريد ٥, ٤ مليون فلسطيني واغتصاب أرضه ودياره ؟

* ألم ينتهك الصرب عرض 70 ألف امرأة وفتاة في

(1) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، د. جارودي ، دار الغد العربي ، القاهرة .
لمزيد من المعلومات : دراسات إسلامية (يا لجراحات الوطن الإسلامي ص 181)
، سيد قطب ، دار الشروق ، البوسنة والهرسك جرح ينزف في جسد الأمة المسلمة ، د. جمال عبد الهادي ، دار الوفاء .
(2) الطريق إلى بيت المقدس ، ثلاثة أجزاء ، د. جمال عبد الهادي ، دار الوفاء ، المتصورة .

البوسنة والهرسك⁽¹⁾ ذبهن الوحيد أنهن مسلمات ؟ ألم يشردوا مليون ونصف مسلم ؟ ألم يقتلوا ويعوقوا نصف مليون مسلم؟

وماذا يفعل الصرب الآن عام 1999 بشعب كوسوفا تحت سمع وبصر أمريكا وروسيا وأوربا ، وتحت سمع وبصر المنظمات الدولية ، إنهم يتبعون سياسة الأرض المحروقة ، ضرب المدنيين بالدبابات والطائرات والصواريخ والأسلحة المحرمة دولياً ، إبادة وتشريد وانتهاك أعراض ، تماماً كما فعلوا بإخواننا فى البوسنة والهرسك ، وكما فعل الاستعمارىون المجرمون أبناء أوربا بالمسلمين فى كل بقاع الأرض عبر التاريخ (انظر الملاحق) .

أى إن الإنسان فقد حرته فى ظلم الحكم غير الإسلامى ، لا سىاج يحمى وطنه أو عرضه أو عقيدته أو عقله أو ماله وصدق القائل : وراعى الشاة يحمى الذئب عنها ، فكيف إذا

(1) البوسنة والهرسك جرح ينزف فى جسد الأمة المسلمة ، د. جمال عبد الهادى ، الصربىون خنازير أوربا يحاولون إبادة الوجود الإسلامى فى البلقان ، أ.د. عبد الحى الفرماوى ، دار الاعتصام ، القاهرة .

كان الذئاب هم الرعاة .

والبشرية ما فقدت الأمن والأمان إلا في غياب الإسلام
وتسلط المجرمين : فهل من عودة إلى الإسلام ؟
وبعد ...

فهذه تذكرة بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على الفتح
الإسلامي لمصر وتحريرها من قبضة الاحتلال الأوروبي ،
وبعدها عاش أقباط مصر - مسلمون ونصارى - أمة واحدة
للمسلمين دينهم وللنصارى دينهم .. فى ظل الحكم
الإسلامي وسماحته آمنون مطمئنون .. إلى أن وقعت اتفاقية
السلام المزعومة .. وتسلب أحفاد الرومان إلى أرض مصر ..
يشيعون فيها الفتنة والخراب .. أملين العودة إلى عهد
الاحتلال مرة أخرى ، وكأنما عز عليهم أن يخرجوا من أرض
مصر بعد سبعمائة عام من الاحتلال ، فهياًوا أنفسهم للعودة
مرة أخرى عبر إثارة الفتن بين أبناء الوطن الواحد مسلمين
ونصارى ، ولكن هيهات هيهات .

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(يوسف-21) .

ولعل آخر ما نختم به هذه التذكرة من أحد الأساتذة جاءت في معرض حديثه عن الفتح الإسلامي لمصر، وكذلك شهادة اثنين من أبناء أوروبا : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق - 37) .

شهادة مؤرخ معاصر: (1)

«كانت آليات الجيش الإسلامي الفاتح وسياساته الأخلاقية في حربه وسلمه خير دعوة للإسلام بين أقباط مصر» .
ولما تعايش الأقباط والفاتحون المسلمون عن كثب رأى الأقباط في شريعة المسلمين وأخلاقهم ، مستوى عقدياً وتشريعياً وأخلاقياً عاد بهم - وبذكرياتهم التاريخية - إلى شخصية الرسول العظيم المسيح عيسى عليه السلام ، وإلى شخصيات أنبياء الله السابقين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام . فكان انتقال الأقباط إلى الإسلام يشبه العودة إلى الجذور ؛ فهم كما قال أحد النصارى لزوجته بعد إسلامه : «ما خسروا المسيح ، وإنما

(1) أ.د. عبد الحليم عويس ، المنار الجديد ، العدد يوليو، سنة 1998 ، ص 63-81.

كسبوا إلى جانبه محمداً عليهما السلام» .

وسار الإسلام بعقائده السامية الواضحة السهلة ، وشرائعه العادلة عدلاً مطلقاً متساوياً بريئاً من كل عنصرية ، لأن الله علمهم ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة - 256) ، ولم يصبح الإسلام في مصر ديناً للأغلبية السكانية إلا بعد قرنين من الزمان ، ذلك لأنه لا يعرف التعميد القسرى ، ولا محاكم التفتيش (الاستعمارية) ولا الحكومات الشرطة «البوليسية» القمعية التقدمية والاشتراكية القهرية التي تبشر الناس بالتعذيب ومصادرة حرياتهم - بعالم سعيد يختفى فيه الأغنياء والمخالفون في المذهب من الرجعيين !!

كلا ، فليس في الإسلام هذا ولا ذاك . بل هو دين أنزله الله بمنهجية محددة ألزم بها رسوله صلى الله عليه وسلم قائلاً له في كتابه الكريم : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) (الأنبياء - 107) . وقائلاً له أيضاً : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ (البقرة - 272) و ﴿.. إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ..﴾ (الشورى - 48) .

ولقد حمل الفاتحون المسلمون معهم - أينما حلوا - قيم

دينهم ، ولغتهم العربية لغة القرآن ، وسموهم الروحى والخلقى ، وحملوا معهم ثقافة إسلامهم .

وقد تجلت أصالة الإسلام فى استيعاب الحضارات القديمة، وتكييفها ثم فى خلقها خلقاً جديداً وأصبحت الحضارة الإسلامية هى حضارة الشرق الأدنى والأوسط .

وقد كان التسامح الإسلامى سياسة عامة فى السلم وحتى فى الحرب فى كثير من الأحيان ، وكان هذا التسامح - المقرون بالمساواة والحرية إلا فى حالات الشك والريبة والخوف من الخيانة العظمى ضد الوطن الإسلامى - آية عظمى تفردت بها الحضارة الإسلامية فى مصر وغيرها . ولم يقتصر هذا التسامح على أهل الكتاب الذين هم أحق الناس بذلك ، بل امتد إلى غيرهم .

ولم يكن المسلمون الفاتحون محتلين مثل الروم أو الأوربيين ، بل كانوا أصحاب رسالة مُعمرين متحضرين ، ولم تكن حكومتهم حكومة عسكرية استغلالية ، لا يهتمها سوى جمع المال ، والحفاظ على إبقاء البلاد مصادر لتوريد «المواد الخام» كما فعل المحتل الأوروبى الأثيم ، وهم -

كذلك - لم يحولوا الأحرار إلى عبيد ، ولم يعودوا إلى بلادهم ، ويرسلوا المندوب السامى يحكم باسمهم يجلب لهم من البلاد المحتلة الأموال والثمار والمواد الخام ، بل على العكس من ذلك ، فلقد نقل المسلمون عواصمهم إلى البلاد التى فتحوها ، كما انتقلت كثير من القبائل العربية إلى البلدان المفتوحة ، واستقرت فى المدن والقرى وعلى الحدود وفى أقصى المناطق النائية ، واختلطوا بشعوب هذه البلدان ، وتزاوجوا وانصهروا معاً حتى أصبحت هذه الشعوب شعباً واحداً ، تدين بدين واحد ويرتدى - فى الغالب - زياً واحداً أو لباساً متماثلاً ، ويشعر بشعور واحد ويتشقف بثقافة واحدة .

وعلى الرغم من اختلاف الدين يشعر الجميع بأنهم يركبون سفينة واحدة هى سفينة الوطن الإسلامى ، وتتظمهم بالحق - حضارة وثقافة واحدة ، هى حضارة عالم الإسلام ، ثقافة الإسلام التى تمثل منظومة إنسانية أخلاقية لها طعمها الخاص وسماتها الخاصة ، فى عاداتها وتقاليدها وغاياتها ، إنها ذات طعم روحى وأخلاقى فى مواجهة عالم المادية الغربية .

وبالإسلام انتقلت مصر من قرية رومانية زراعية إلى رائدة للعالمين العربى والإسلامى وذلك بالطبع فى اللحظات التاريخية التى تعى فيها ذاتها ، وتدرك مكانتها ورسالتها ، وتجسد القيادة المتمية غير المستلبة وغير المنسحقة ، القيادة الواثقة بقدرة الله ، وبأن الله أكبر ، وفى أن الإسلام كلمة الله الخاتمة ، ورسالة الرحمة والعدل والمدنية والإنسانية الصحيحة .

لقد تحقق لمصر هذا غير مرة ، تحقق لها فى «حطين» بقيادة صلاح الدين الأيوبى ، وتحقق لها فى «عين جالوت» بقيادة سيف الدين قطز تحت راية «واسلاماه» . . وأخيراً تحقق لها فى العاشر من رمضان تحت راية «الله أكبر» .

ومازالت مصر قادرة على ذلك - بإذن الله - عندما تتوافر لها شروط إقلاع التاريخ ، أى عندما تعى ذاتها ورسالتها؟؟

* ماذا فعل الأوربيون بالمسلمين فى عهد الحروب الصليبية وفيما بعدها بقرون؟

ما جرى منهم عند فتح القدس من ذبح ٧٠ ألف مسلم

فى المسجد الأقصى حتى سبحت الخيل إلى صدورها فى
الدماء .

ومن استئصالهم شأفة المسلمين فى الأندلس ، وصقلية
وجنوبى فرنسا وسردانية ، مع أنهم كانوا يحصون فى هذه
البلدان بالملايين ، التاريخ شاهد بصحة ما نقول ، فقد عفى
الأوروبيون كل أثر للإسلام فى أوربا ولم يرضوا أن يبقى فيها
مسلم واحد ، حال كون الترك - العثمانيون المسلمون -
(الذين قال عنهم أبناء أوربا إنهم برابرة) بقى تحت ولايتهم
ملايين من المسيحيين من جميع الأجناس كانوا يقدرون فى
أوقات عديدة أن يستأصلوهم أو أن يحملوهم على الجلاء ،
كما فعل ملوك أسبانيا وفرنسا بالعرب (المسلمين) فى
الأندلس .

وقد يقال إن الذى منع الترك عن حمل النصارى الذين
كانوا تحت سلطانهم على الإسلام أو الجلاء هو الشرع
المحمدى الذى يمنع الإكراه فى الدين ويرضى من المعاهد
بالجزية ، وهذه حقيقة .

وقالوا إن السلطان سليمان القانونى كان فكر فى سوء

العاقبة من بقاء الملايين من الأروام والبلغار والأرمن وغيرهم فى الممالك العثمانية ، وأحبّ إخراجهم ، وقيل بل السلطان سليم ؛ وكل مرة كان يعترض فى ذلك شيخ الإسلام ويقول : ليس لنا عليهم إلا الجزية .

والجواب قد يكون ذلك ويثبت أن الإسلام هو الذى هذب الأتراك وحال بينهم وبين طرد المسيحيين من ديارهم ؛ فلماذا يا ليت شعرى لم يهذب الإنجيل أقوام أوربا ولم يمنع البابا اسكندر السادس وأساقفة الكنيسة فى أسبانيا ، والملك فرديناند، والملكة ايزابيلا ، وغيرهم من الملوك المشهورين بالكتلكة من نصب ديوان التفتيش وارتكاب تلك الفظائع فى العرب واليهود ممن بقى على ديانتهم سرّاً إلى أن أجلوهم عن ذلك القطر الذى استوطنه العرب (المسلمون) زهاء 820 سنة ، مع أن الإنجيل كما لا يخفى لا يجيز شيئاً من هذه الأفعال ، بل يوصى الناس بحب الأعداء ، فكيف تتآلف مع شريعة الإنجيل التى هذا مبلغ وداعتها وتسامحها قضية تحريق الناس بالنار لأجل عقائدهم (كما يفعل الصرب الأرثوذكس الآن بأهل كوسوفا ومن قبل بأهل البوسنة والهرسك) .

مسألة أخرى : ماذا فعلت طلائع الاستعمار الأوربي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين بنى الإنسان في مستعمراتهم بأفريقية الوسطى وشمال أفريقية والكونغو والسودان المصرى ، وما فعلوه في الهند وآسيا ، بل ما وقع منهم في الروملى أثناء الحرب البلقانية حينما ذبح البلقانيون مسلمى الروملى واستباحوا حرمهم (1) .

.. وللحديث بقية إنشاء الله ..

* * *

(1) حاضر العالم الإسلامى ، لوتروب استودارد ، ترجمة عجاج نويهض وعلق على حواشيه شكيب أرسلان ، دار الفكر ، بيروت 1973 م ، ج 1 ، ص 238 - 239 .

مراجع خاصة بنفس الموضوع

المراجع العربية :

- (1) الفتوح الإسلامية عبر العصور ، عبد العزيز العمرى ، نشر دار أشبيلية ، ط 11 ، الرياض 1418 .
- (2) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لغز الدين بن الأثير ، أبى الحسن على بن محمد الجزرى (555 - 630 هـ) ، مطابع الشعب ، القاهرة .
- (3) السيرة النبوية الصحيحة ، د. أكرم ضياء العمرى ، مكتبة العبيكان ، الرياض 1416 .
- (4) البداية والنهاية فى التاريخ ، إسماعيل بن كثير ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
- (5) الكامل فى التاريخ ، أبو الحسن عز الدين على بن الأثير (ت 630 هـ) ، دار الكتاب العربى - بيروت .
- (6) ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب ، د. إبراهيم أحمد

- العدوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1963 .
- (7) الكنيسة القبطية والروح القومية في مصر في العصر البيزنطي، عزيز سوريال عطية ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، مايو 1995 .
- (8) بدائع الزهور في وقائع الدهور ، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ، ج 1 ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة 1402 هـ .
- (9) أوروبا العصور الوسطى ، سعيد عاشور .
- (10) تاريخ عصر النبوة والخلافة الراشدة ، د. رجب عبد الحلیم، دار النهضة العربية ، القاهرة .
- (11) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د. أكرم ضياء العمرى ، ط 2 ، الرياض 1405 .
- (12) تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط 9 ، دار المعارف ، القاهرة .
- (13) تاريخ (الكنيسة) ، لوريمر (جون) ، ج 3 ، القاهرة 1982 ، ص 46 - 47 .
- (14) تاريخ الكنيسة القبطية ، منسى يوحنا ، القاهرة 1983 .

- (15) تاريخ الرهبانية والديرية فى مصر وآثارهما الإنسانية على العالم ، رؤوف حبيب ، القاهرة ، 1978 .
- (16) تاريخ عمرو بن العاص ، حسن إبراهيم حسن .
- (17) تاريخ مصر من الفتح العربى إلى أن دخلها الفاطميون ، موسوعة تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الثانى ، حسين مؤنس .
- (18) تكون الشعب المصرى الجديد ، جمال الدين الشهاب ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، العدد 41 لسنة 1960 .
- (19) حسن المحاضرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة .
- (20) دراسات فى تاريخ العرب ، تاريخ الدولة العربية ، السيد عبد العزيز سالم ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية .
- (21) رؤية فى سقوط الامبراطورية الرومانية ، محمود الحويرى ، القاهرة 1993 ، ص 62 ، 78 - 80 .
- (22) سلسلة أعلام العرب ، الكندى المؤرخ أبو عمر محمد بن

يوسف المصري وكتاب الولاية والقضاة ، د. حسن أحمد محمود ، الدار المصرية للتأليف والنشر .

(23) شخصية مصر ، جمال حمدان ، ج 2 ، ص 625 .

(24) عمرو بن العاص بين يدي التاريخ ، عبد الخالق سيد أبو رابية ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط 1 ، 1408 .

(25) عمرو بن العاص ، بسام العسلي ، دار النفائس ، بيروت ، ط 2 ، 1399 .

(26) عمرو بن العاص ، عباس محمود العقاد ، دار الهلال ، القاهرة .

(27) فتوح البلدان ، القسم الأول ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية .

(28) فتح العرب لمصر ، الفردج بتلر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1400 .

(29) قادة فتح الشام ومصر ، لواء ركن محمود شيت خطاب ، دار الفكر ، بيروت .

(30) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ،

- تقى الدين أحمد بن علي المقریزی (ت 845 / 1441 م)
 (الخطط المقریزية) ، متبة الثقافة الدينية ، القاهرة .
- (31) كفاحنا ضد الغزاة ، عبد اللطيف أحمد علی ، القاهرة
 1957 ، ص 197 - 198 .
- (32) من وحی القلم ، ص 36 : قصة الیمامتان ، نشر مهرجان
 القراءة ، القاهرة 1995 م .
- (33) مصر فی فجر الإسلام ، سيدة إسماعیل كاشف ، دار
 الرائد العربی ، ط 3 ، بیروت 1406 .
- (34) من دقلدیانوس إلى دخول العرب ، مراد كامل ، موسوعة
 تاریخ الحضارة المصرية ، المجلد الثاني ، ص 212 - 213 .
- (35) مصر البيزنطية ، الباز العرینی ، ص 53 .
- (36) مصر ورسالتها ، حسین مؤنس ، القاهرة 1980 .
- (37) مصر فی عصر الولاية من الفتح العربی إلى قیام الدولة
 الطولونية ، سيدة إسماعیل كاشف ، القاهرة .
- مصر الإسلامية وأهل الذمة ، نفس المؤلف ، القاهرة 1993 .
- (38) مصر فی عهد البطالمة ، موسوعة تاریخ الحضارة المصرية ،

المجلد الثاني ، إبراهيم نصحي ، القاهرة .

(39) مصر الإسلامية ، مصطفى طه بدر ، القاهرة 1959 .

(40) مصر والشرق العربي درع الإسلام ، إبراهيم العدوى ،
القاهرة 1984 .

مراجع المبحث الثاني الأجنبية التي تثبت سوء معاملة الروم (أبناء
أوروبا) للأقباط :

1. Bell (H.I), Egypt and the Byzantian Empire in the Legacy of Egypt, p 345.
2. Diehl (Charles) Histoire de L'Emprie Byzantine, (Paris, 1920), pp. 11 -12.
3. Frend (W.H.C), in Relation between East and West in the Middle Ages, ed. by Derek Baker (London, 1972), pp. 17 - 18.
4. Levtchenko (H.V.), Byzance des Origines A 1453, (Paris, 1949), pp. 36-37.
5. Milne (Grafton, M.A.), A History of Egypt under Ro-

- man Rule, Vol. V. (London, 1924), pp. 69-70.
6. Munier (H.), L' Egypte Byzantine de Diocletien a La Conquête Arabe (Le Caire, 1932), p. 9.
7. Mango (Cyril) Byzantium, the Empire of the new Rome (London, 1980), p. 95.
8. Ostrogorsky (George), History of the Byzantine State (U.S.A, 1969).
9. Hetti (Philip K.), History of the Arabs, London, p. 1972, Lacy oleary, The Coptic Church and Egyptian Monasticism in the Legacy of Egypt.

* * *

الفهرست

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| 7 | تقديم: مرور أربعة عشرة قرناً على الفتح الإسلامي لمصر |
| 16 | المبحث الأول: حالة مصر قبل الفتح الإسلامي. |
| | المبحث الثاني: شهادة بعض الأساتذة عن |
| | الاضطهادات التي كان يعاني منها الأقباط |
| | قبل الفتح الإسلامي ، علي يد قوات |
| 21 | الاحتلال الروماني |
| | المبحث الثالث: الأسباب التي دفعت المسلمين |
| 31 | إلى فتح مصر |
| | المبحث الرابع: وصول طلائع الفتح الإسلامي |
| 34 | إلى مصر |

48 **المبحث الخامس :** مصر فى ظل الفتح الإسلامى

55 **المبحث السادس :** فتح الأمصار

المبحث السابع : الأقباط (المصريون) ينعمون

57 بالعدل بعد أن أعزهم الله بالإسلام

المبحث الثامن : من هو المتطرف ؟ المسلمون أم

60 أعداؤهم .. أعداء الإنسانية ؟

74 **المراجع**

81 **الفهرست**

رقم الإيداع ١٦٩٤٣ / ٩٩

الترقيم الدولى I.S.B.N.

977- 265 - 272 - 2

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٣٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانئ الأندلسى ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

